

التغيير من سُنن الحياة



◀ الصِّراع للبقاء :

الحياة حركة والحركة حياة وانطلاق، وبالحركة تتكامل عوالم الطبيعة والفكر والمجتمع، ولكل شيء في هذا العالم ضده ونقيضه، والصراع بين الأضداد والنقائص قانون كوني عام وسُننة من سُنن الوجود. ومظاهر الصراع تتجلى في كل عوالم الخليقة ومفرداتها، فالشجر يصارع ليقاوم العواصف والرياح العاتية، وتيار الماء يصارع ليشق طريقه في وجه الأرض، وعالم الحيوان مسرح مدهش من مساح الصراع والتنازع من أجل البقاء. وللصراع والتنازع نتائج وآثاره في وجود الأطراف المتنازعة وبقائها ويسجل لنا القرآن الكريم أول صراع دموي شهدته الأرض (وَآتَىٰ عَلَّايَهُمْ نَبِيًّا ابْنَيْ آدَمَ بِآلِ حَقٍّ إِذْ قَرَّبَ بَابًا فَرُبَّانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ لِلَّهِ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (المائدة/ 27). بدأت نوازع السيطرة على الآخرين تظهر، فبدأ الصراع على متطلبات الحياة وبدأت سيطرة الأقوياء على الضعفاء، فبعث الله النبيين لحل الخلاف وإيقاف النزاع والصراع وحل مشكلات الإنسان وتصحيح تفكيره، فكان صراع الطواغيت ضد الأنبياء وبدأ الصراع بين الهدى والضلال.

صراع الحق والباطل:

فالصراع ليس حالة طارئة في حياة البشرية بل هو سُننة من سُنن الحياة وسبب من أسباب حركة التاريخ والتغيير والتنمية الحضارية والاجتماعية والنفسية والسلوكية لدى الفرد والجماعة. يبين لنا القرآن حركة الصراع في المجتمع البشري وتميز خط السير ومعسكر الهدى مقابل معسكر الغي والطواغوت ومنهج الضلال، ويتحدث عن الهدى كمنهج ترشيد للفكر والسلوك ونظام الحياة وكقوة يكافح أتباعها للإطاحة بالطواغوت واستئصال جذوره الفكرية والسلوكية (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة/ 256). ويركز القرآن على قانونية الصراع بين الطواغوت كقيادة للشر والغي والفساد، وبين دعاة الهدى ورواد الإصلاح كحركة تغييرية مضادة لحركة الطواغوت، فيحث على استمرار الصراع ويدعو إلى المواجهة الحادة والتصدي العنيف للطواغوت وأتباعه.

ومن رحمته تبارك وتعالى لعباده أنَّهُ لم يترك المفسدين العابثين في مقدّرات الأمّة يعيثون في الأرض بخرابٍ وإلى ما لا نهاية، بل كان لهم بالمرصاد ولو بعد حين. لقد جرّبت الشعوب قديماً أن تغير واقعها فوصلت إلى ما أرادت إليه ولو بعد معاناة وفي عصرنا الحديث تحرّكت الشعوب وما زالت تتحرّك للتغيير والإصلاح لمقاومة المستبدّين والمنسلّطين على شعوبهم، والاستبدال جارٍ لبناء فكرٍ ينبض بالحياة والحركة والنور وقرارٍ يحسم كلّ المشاكل والوقائع ورفيقٍ يحكم السلوك، ولا بدّ من الإصرار على وقاية مجتمعاتنا وأجيالنا وأن نتصلّب في حماية ثرواتنا ومصالحتنا وخيراتنا من العابثين فيها وإنّ ربكم بالمرصاد. ►

المصدر: كتاب مفاهيمٌ خيرٌ وصلاح